العلاج عن طريق الصور (phototherapy) في الارشاد التربوي والتربية الخاصة

كيتي وتد
محاضرة في كلية داڤيد يلين للتربية

قد يتساءل القاريء عن ماهية العلاج عن طريق الصور. ما المقصود به؟ وكيف يتم استعماله؟ وأية أهداف يحقق؟ هذه الأسئلة وغيرها ستتم محاولة الرد عليها وطرحها باسهاب في هذه المقالة التي تسعى لإلقاء الضوء على مجال علاجي جديد، مميز وبسيط، في مجال ألارشاد التربوي والتربية الخاصة, وبهذا تفتح المجال للعامل في حقل التربية أن يكتسب أداة عمل اضافية، تحمل كثيراً من الابداع والمتعة. أداة عمل بها الكثير من المتشابه والمختلف عن أداة عمل سابقة تم طرحها في (وتد، ٢٠٠٢) وهي التشبيه والاستعارة (metaphory) (أسلوب حديث في مجال العلاج النفسي والارشاد، يتم من خلاله تفعيل العقل والعاطفة, الخيال والتشبيه، وذلك بواسطة رموز وأدوات بسيطة). وكلتا هاتين الأداتين تعملان على تشغيل الخيال والإبداع مع الواقع, الذاكرة والتجارب الماضية مع الحاضر. ان هذه الأداة، كسابقتها، تعمل على تحفيز الحيز النفسي أولا، من خلال تفعيل مؤثر للعاطفة والتجربة الشخصية، ومن ثم تنتقل لتفعيل الحيز الذهني والمهارات العقلية المختلفة. ستتطرق المقالة لتعريف مصطلح «العلاج عن طريق الصور», اهدافه, تأثيره في الإرشاد التربوي (بناءاً على تجربة كاتبة المقالة) واستعماله في حقل التربية الخاصة. طبعا بالأضافة لطرح بعض التوصيات المتعلقة بأهمية تطوير هذه الأداة وتطبيقها.

قوة الصورة كأداة توثيق وعلاج

قبل التطرق لتعريف مصطلح (Phototherapy) كآلية علاج حديث. سيتم الحديث أولا عن الصورة: معناها. هدفها. خاصيتها. ومميزاتها. تذكر (ברמן 16. 1997) سؤالا كانت قد وجهته جريدة sun البريطانية لقرائها: «**ما هو الشيء الذي كنتم ستأخذونه حال سماعكم صفارة الحريق في البناية؟**». وكانت إجابة إحدى السيدات: «**بعد أن أطمئن على سلامة أفراد أسرتي أعود لآخذ صوري. استطيع ان أشتري أثاثاً جديداً ولكن ليس ذكريات حياتي**». أن تلهفنا لمشاهدة صورنا بعد التحميض كبير حتى ان بعضاً منا لا يستطيع الانتظار حتى وصوله للبيت ليراها، بل يسارع في أخراجها من الظرف بأنفعال وشوق كبيرين.
تحمل الصورة عامة والصورة الشخصية خاصة الكثير من المعاني. المعلومات. التفاصيل، وأحيانا قضايا وطروحات مهمة وحساسة. فالصورة كالكلمة تقول شيئا ما، وتعني أمرا

خاصا، قد يكون مختلفا للناظرين اليها. فكما ان الكملة تعبر أو تصف أمرا، وضعا، حدثا أو شعورا، فإن الصورة (مرسومة أو مصورة) تعبر أيضا بأسلوب مختلف عن حدث، شعور أو أمر معين. وأحيانا قد لا تعبر الكلمة بقدر ما تعبر الصورة فنقول: «لا تعليق على الصورة» أو «لا كلام ممكن اضافته». وبهذا تكون الصورة الناطق الأقوى والمعبر الأصدق في نقل ووصف الموقف أو الشعور.

ويمكن اعتبار الصورة في كثير من الأحيان وسيلة سهلة ومرنة أكثر بكثير من الكلمة، وبهذا فهي تفتح المجال للخيال والتفكير والابداع أن تنطلق, فلا يوجد في هذه الأداة «صح» مطلق وواحد، بل هناك أكثر من «صح» وهناك أكثر من وجهة نظر، ما يكسب هذه الأداة صفة المرونة و «الأحتواء»، ويجعلها أقل دقة وقطعا من الكلمة. فنرى مثلا أن الكثير من المعلمين في الصفوف الدنيا، وقبل بداية قراءة الدرس الجديد في اللغة العربية مثلا، يسألون طلابهم: «ماذا تشاهدون في الصورة»؟ ان هذا السؤال البسيط يفسح المجال للطلاب أن يعبروا وبشكل مختلف عن قراءتهم وتحليلهم للصورة المعروضة أمامهم، ومن ثم تكون كل اجابة في هذه المرحلة إجابة شرعية، حيث لا يوجد جواب واحد ووحيد لمفهوم الصورة.

يهدف المعلمون في سؤالهم هذا التمهيد للطالب حول موضوع القطعة التي يعتزم تدريسها وذلك عن طريق تحفيز التفكير المستقل والمميز لكل طالب.

ان هذه المرونة في قراءة الصورة وتحليلها، يعطي للطالب، وبالذات الطالب البطيء، الخاص، ثقة في طرح كل اجابة, ما يعزز من ايمانه في قدراته، لأن كل ما سيقوله سيكون مقبولا وشرعيا.

ان تأثير هذه الأداة يكبر ويزداد كلما كانت الصورة. صورة شخصية. وكلما اقتربت أكثر من العالم الخاص الفردي للانسان، أو للطالب في هذه الحالة. فنحن ندرك أن امكانية التأثير في مجال العلاج تزداد عندما نلمس مواضع ذاتية، ونثير تجارب شخصية، لأنه عندما يكون العمل مباشر على «الأنا» والذات. وكل ما يحدث هو «الآن وهنا» وليس «بوقت آخر وبمكان آخر». فلا بد أن تحمل الصورة الشخصية الكثير من المعاني التي تستفز المشاعر وتوقظ الذكريات. وبهذا تحفز العاطفة والعقل معا، ما يتيح للمعالج أو «المعلم المختص» العمل في حقل واسع، يضم المهارات العاطفية والعقلية على حد سواء.

وفي هذا السياق تصف (בירמן, 1997) الصورة على أنها وسيلة جيدة للدخول للعالم الخاص واللاواعي للانسان، وذلك لأنها تثير ذكريات وتجارب شخصية، قد تكون نسيت أو تم تجاهلها، فكما هو معروف، فإن الكثير من تجارب الانسان في طفولته وترعرعه تؤثر عليه في المستقبل عند نضوجه وأدائه كبالغ. وأن للصورة في هذا المفهوم قوة حقيقية وصادقة في نقل شيء من هذه الطفولة والحياة الأسرية التي عاشها ونشأ بها.

ممكن أن نصف الصورة وعلى اثر طرح (בירמן, 1997) على أنها «مرآة الماضي». مرآة مميزة

تعكس أحداثا من الأيام التي ولت، وتحمل في طياتها معاني ومشاعر قد تكون أحيانا سعيدة. وقد تكون أحيانا مؤلمة، لدرجة أنها لم تُحك وتطرح بالشكل الكافي، فيتم دفنها وتناسيها، وهنا يأتي دور هذه الصورة «مرآة الماضي» لتوقظ ما قد دفن، وتطرح ما قد نسي، وتعمل على تضميد التجربة المؤلمة التي لم يتم تضميدها في حينه.

تقول (סיאנו, 1998) أن الصورة هي خيار ما بين الصمت والكلمة، فهي تقول شيئا ما، ولكنها ليست بكلمة، وتعتقد أن هذه الأداة هي وسيلة اتصال أكثر أمانا وأقل حدة، تهديدا للتعبير عن تجارب مؤلمة ومخيفة في الطفولة. ان الصورة الشخصية هي انعكاس «للأنا»، بها يعرض الانسان ذاته بالطريقة التي يحب أن يرى بها (גינת, 1998).

نستطيع الآن طرح التعريف الأساس لمفهوم العلاج عن طريق الصور (phototherapy)، وذلك حسب (סטיורט 4, 1979) ذكر عند (בירמן, 1997) «**العلاج عن طريق الصور هي طريقة علاج مختلفة، يتم بها استعمال الصور أو كل مادة مصورة، عن طريق معالج مختص، والذي يعمل بدوره على استخراج الأعراض المؤلمة، وبناء مجدد للثقة والرؤية الذاتية**».

تعدد (צרכוב, 1997) الأهداف العامة من استعمال الصور في التربية والعلاج، ومن هذه الأهداف:

١) أن تستخدم هذه الوسيلة باعتبارها «اداة مرنة» للاحتياجات والمواقف المختلفة, فالصور قد تكون ممتعة، مسلية وجذابة لكثير من الناس، ولكن من ناحية أخرى قد تكون مخيفة، منفرة ومؤلمة لآخرين.

٢) ان يتم تعليم الطلاب معلومات معينة عن ظواهر، مواقف أو أشخاص معينين.

تضيف (שיפר, 1998) هدفاً آخر هاماً وهو

٣) أن تعمل الصورة على تعزيز علاقة الانسان مع ماضيه وذكرياته، وذلك لأنها طريق توثيق واضحة ودقيقة. وتعتقد (ברמן, 1998) من خلال الصور، يمكن اعطاء «اطار» جديد للماضي، وفهمه بأسلوب جديد، ورؤيته من وجهة نظر أخرى, ولكنها تؤكد على أن الهدف الأساس والجوهري في استعمال الصورة في العلاج وفي العمل التربوي

٤) أن تحسن وتثري اللغة الكلامية عند الطالب/ المعالج. وبهذا تقوي الاتصال والتواصل بينه وبين المحيطين به.

٥) أن تعمل الصورة كلغة بديلة للغة الكلام,وذلك في حالة عدم تمكن المعالج من التعبير الكلامي الواضح والمفهوم. وبهذا تسهل عليه الاتصال مع المحيط، وتفسح له المجال للتعبير عن احتياجاته ومشاعره (ברמן, 1997; חצרוני, 1998)

٦) أن تشترك الصورة في بناء التقدير الذاتي والرؤية الذاتية الإيجابية التي بدورها تعمل على تعزيز وتمكين «الأنا» والايمان بها (גינת, 1998)

تضيف (שיפר, 1998) لهذا الهدف جانباً آخر، وهو:

٧) أن تضع الصورة الشخصية الانسان في المركز، وان تلفت وتجذب نظر الآخرين اليه ولخاصيته، وبهذا تعطي الفرد فرصة أن يحظى باهتمام وانتباه المحيطين به.

وصف تجربتي في استخدام الصورة في عملية الارشاد التربوي

رغبت في تعريف طلابي من سنة ثالثة، والذين قمت بارشادهم في الحقل ومرافقتهم القريبة في تجربتهم العملية، حول مجال «العلاج عن طريق الصور». وبعد التفكير في الموضوع قررت أنه لا يوجد وسيلة أفضل للدخول لهذا الموضوع من أن يمروا بتجربة شخصية مع الصورة. وهكذا قمت بطلب احضار صورة شخصية خاصة ومميزة، تعني لهم أمرا أو حدثا مهما وخاصا في حياتهم، وممكن أن تكون في المرحلة التي يختارونها. من الطفولة الى مراحل حياتهم الحديثة. وقد بدأت لقائي المخطط بالتوجه لكل طالب أن ينهض ويمرر بين زملائه الصورة الشخصية التي اختارها لنفسه ثم يتحدث عنها. ماذا تصف؟ متى صورت؟ في أي موقف؟ لماذا اختارها من بين كل الصور؟ كيف يشعر تجاه نفسه في هذه الصورة؟ وماذا يريد أن يقول لنا ويعرفنا عليه من خلال هذا الاختيار؟.

لقد كانت فعالية رائعة، مثيرة ومؤثرة، ليس فقط لطلابي فحسب، وانما لي ايضا. فقد تعلمت الكثير عن كل طالب من خلال اختياره للصورة الخاصة التي عرضها، ومن خلال وصفه وانتقائه للكلمات. ومن خلال تعامله مع انطباعات، تعليقات وأسئلة الزملاء له.

لقد كانت مقدمة نموذجية للاسترسال في موضوع «الصورة كأداة علاج». فمن خلال الفعالية وتحليلها والتعقيب عليها، تعلم الطلاب المعنى المقصود، والأهداف المرجوة من وراء هذه الأداة.

لقد كان من الطلاب من اختار صورة شخصية مع أفراد عائلته، وتكلم بحب واعتزاز عنهم، وكأنه بهذا يعرف ذاته من خلال هذه الأسرة المحبة والمميزة. وكان منهم من اختار صورة له وهو طفل صغير بريء وجميل، وبهذا عبر عن أثر وأهمية هذه المرحلة في حياته. وكان أيضا من اختار صورة مع زميل له يشاركه المجموعة، وكان هذا بمثابة رسالة غير مباشرة للتعبير عن الزمالة والود (لقد كان استعمال وعرض هذه الصورة بالذات، على أثر خلاف عميق بين الزميلين. ومن خلال عرض الطالب لصورته مع زميله. أراد عمليا أن يقول له «**كم كانت خاصة ومميزة علاقتنا**».

وقد كان من اختار صورة مع الشخصية المركزية في حياته: والد. والدة. جد. ، وكان واضحا أنه يقول: «**هذا هو الشخص الاغلى**». «**هذا محور جوهري في حياتي**».

كان هناك ايضاً من اختار التعبير عن حدث وموقف، وليس فقط عن أشخاص وفترات. مثلا مناسبة مهمة كالخطوبة. أو رحلة. أو عن تجربة عمل مميزة تعني له الكثير ويفتخر بها، ويريد أن يعرف الآخرين أنها جزء من تجربته وشخصيته.

وهذه بعض الأسئلة الأساسية التي وجهتها للطلاب بعد هذه الفعالية وكمقدمة لموضوع اللقاء:

١) كيف يشعر الانسان عند عرضه لصورته الشخصية؟ وكيف يتوقع ان تكون ردود فعل من حوله؟؟

٢) ما هي الاعتبارات التي يأخذها الانسان عند اختياره لصور يرغب في عرضها على الآخرين؟

٣) هل الحديث عن «الأنا» بأسلوب مختلف يغنى اللغة، ويضيف مرادفات جديدة للقاموس الشخصي؟

٤) هل تعتقدون بأن الاهتمام والاصغاء الذي يحظى به الانسان يعزز من «الأنا» ويضيف اليه شعورا بالتألق والفردانية؟

٥) هل من الممكن أن يشعر الإنسان بانفعال عاطفي عند مشاركته الآخرين بصوره الشخصية؟

٦) ما هي الارباح والفوائد التي يجنيها الفرد أو المجموعة من وراء هذا النوع من المشاركة؟

هذه الأسئلة وأخرى غيرها تم طرحها، من خلال التعقيب على العروض الشخصية للصور الذاتية. وكان واضحا أن جميع الطلاب قد تاثروا من الكم الجديد من المعلومات، وشعر كل واحد منهم بأنه خاص ومميز. وأكد الجميع على أنه تم اختيار الصورة بجدية ودافعية واهتمام، لأن كلاً منهم آمن بأن ما سيعرضه سيكون انعكاسا لذاته. وبالطبع فهو يريد أن يفهمه ويراه الجميع بالصورة الأفضل. بالشكل الأجمل وبالذكرى الأخص. لقد قال لي بعض الطلاب بعد الفعالية أو من خلال المذكرة الشهرية: **«لم أتوقع أن أنفعل في الحديث عن نفسي بهذا الشكل. لقد كان حديثي عن أسرتي مميزاً. لقد كنت مشتاقاً لهم. انهم دعم أساسي في حياتي. لقد اعتقدت بأنني أعرف زملائي جيدا. ولكن بعد ما سمعته أدركت أنني لا أعرف الا القليل عن كل منهم، ما زادني في التقرب اليهم»**.

«لقد شعرت باهتمام الجميع بما أقول. حتى أن جزءاً منهم تأثر لوصفي بعلاقتي مع... لقد كانت بالنسبة لي مشاركة مدهشة، وهي الأولى من نوعها».

لقد كان هناك بعض من طلاب مجموعتي الذين نسوا أو تناسوا (؟؟؟) احضار صورة شخصية للفعالية (ان هذا النسيان أو التناسي يعني أيضا بعض الأمور) والذين عبروا لي عن انزعاجهم وضيقهم من أنهم لم يتمكنوا أن يحظوا بهذه المشاركة (لم يحظوا بالحصول على الاهتمام الكبير)!!!

«لم أتوقع أن تكون الفعالية بهذه الأجواء الخاصة. بهذه الصراحة والقوة. لقد حسدت زملائي الذين شاركوا، لقد كان هذا خاصا لكل منهم. أنا أشعر بأنني فقدت فرصة لأعرف الآخرين بنفسي».

من الواضح أن الصورة التي اختارها كل طالب بعد حيرة ودراسة، أراد أن يقول عن طريقها شيئا عن ذاته.. أسرته.. تجربته.. وحياته الشخصية. شيئا مميزا وقويا! استعمالي لهذه

الوسيلة كمقدمة للموضوع ذاته كانت له آثار ايجابية على هذه المجموعة ونفسية أفرادها، وعلى عملية ارشادي لهؤلاء الطلاب، الذين عرفوني وباسلوب جميل عن جانب جديد من جوانب حياتهم.

العلاج عن طريق الصور في التربية الخاصة

ان التصور الذاتي (Self Image) مركب أساس في الهوية الشخصية، فحسب تعريف (בר-אל, 192 1996) هو: «**مجموعة منظمة من الصفات والتقييمات التي يراها الانسان في شخصيته والتي يتصرف بموجبها**». ويتكون التصور الذاتي من أربعة مركبات: ١) **التصور الشخصي** ٢) **التصور الجسماني** ٣) **التصور العائلي** ٤) **التصور الأخلاقي**. ومن هنا يطرح السؤال: اذا كانت الصورة ذات تاثير كبير ومهم على البالغين أمثالنا، ونحن الأصحاء في عقولنا ونفوسنا، ونملك حصة وميزة من التجارب الناجحة، والخبرات الغنية، والصحة النفسية للتعامل مع قضايانا اليومية، فكيف سيكون تأثير الصورة على الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة؟ الطلاب الذين يعانون من نقص في المهارات الذهنية، اللغوية والاجتماعية، وأحيانا الحركية. الطلاب الذين يرافقهم الفشل والشعور بالقلق والخوف في كل ما هو جديد وغريب. الطلاب الذين يرون ذاتهم بأدنى الصور وتقديرهم لأنفسهم منخفض، ومن ثم ثقتهم وإيمانهم بطاقاتهم ضعيفة.

أن الصغار أجمالا يحبون رؤية الصور, والنظر إلى أنفسهم من خلالها يمنحهم شعورا بالسعادة. أن اكتشافهم لأنفسهم ولأقاربهم في الصور أمر في غاية الأهمية بالنسبة لهم. أن تمييز الأطفال لأنفسهم هو أمر مهم في تطورهم الذاتي، وبحثهم عن هويتهم الخاصة والمتميزة وتعزز من وجودهم. أن استماعهم للأطراءات وجمل الإعجاب تمنحهم شعورا بالتألق والتميز. (**בירמן, 1997**).

لقد أثبتت هذه الأداة نفسها في حقل التربية الخاصة، ومن خلال استعمالها الأولي البسيط في السنوات الأخيرة. فنقرأ حول التجربة العلاجية التي خاضتها (**גינת, 1998**) مع امرأة في الثلاثين من عمرها والتي تعاني من التخلف العقلي والشلل شبه الكامل، وقد انتقلت للعيش في مؤسسة داخلية، وهي في العاشرة من عمرها، بعد أن ترعرعت بالبيت، وكان لها الكثير من الذكريات مع أفراد عائلتها ومع أبيها بشكل خاص، لقد عالجت (**גינת, 1998**) المشاكل الكثيرة التي كانت تعاني منها هذه المرأة، ومن هذه المشاكل رؤية ذاتية متدنية جدا، لغة بدائية فقيرة وضعيفة,عدم تقبلها لحقيقة وفاة والدها أثناء تواجدها في المؤسسة، وشعورها بالغضب والاستياء لوجودها بعيدا عن البيت. كل هذه المشاكل والمشاعر القاسية بدأت بالاختفاء بالبداية باستعمال الصور العامة في مجالات مختلفة، الى استعمال الصور الشخصية من الماضي البعيد. لقد أثبتت هذه التجربة التي أوردتها **גינת** في مقالها من عام (1998) إن للصورة عامة وألبوم الصور الشخصي خاصة قوة تأثير كبيرة على الإنسان

المتخلف، بحيث أنه تغني لغته، وترفع ثقته، وتعزز قدراته الذهنية والحركية والاجتماعية، والأهم من كل هذا تساعده على التنفيس النفسي عن مشاعر صعبة، كان قد كبتها، ولم ينجح في التعبير عنها وتفريغها.

ألبوم الصور الشخصي

تطرح (שיפר, 1998) في مقالتها حول أهمية العمل على تطوير ألبوم صور شخصي للمتخلفين عقليا، (والذي يضم صور الإنسان الشخصية في فترات مختلفة من حياته ،في مناسبات مختلفة ومع أشخاص مختلفين أهمهم طبعا أفراد أسرته)، والحسنات الكبيرة من وراء استعمال الصورة والكاميرا. وتعدد المهارات التي يكتسبها المتخلف من استعماله للكاميرا لتصوير أحداث وتجارب شخصية وبناءة لألبوم الصور الخاص به:

استعمال الكاميرا بحد ذاته يعطي إحساسا بالثقة والسيطرة. فالمتخلف يتعلم كيف يمسك بالكاميرا. كيف يحضر ويخطط لالتقاط الصورة من حيث الأبعاد والاتجاهات، ما يمنحه الشعور بأنه قادر على ضبط أداة الكاميرا. إن هذه المهارة التي تتطلب التدريب المستمر، تمنح المتخلف إحساسا بالنجاح والإنجاز، ما يعزز ثقته بنفسه وتصوره لذاته.

استعمال الكاميرا يطور قدرة المتخلف على الاختيار، ومن ثم تحمل مسؤولية اختياره لما تم تصويره. الأمر الذي يزيده نضجا ووعيا.

أهمية ألبوم الصور الشخصي

إن التحضير للألبوم الشخصي يمنح المتخلف شعورا بأنه يقوم بعمل مهم، به استقلالية، اختيار وإبداع. إن الألبوم الشخصي والذي نحتفظ في داخله بذكرياتنا وعلاقاتنا له تأثير كبير على بناء هويتنا الذاتية ورؤيتنا الشخصية (ברמן, 1997).

إن لألبوم الصور دور كبير في فهمنا لجذورنا وتاريخنا وعلاقاتنا، ومن ثم انتمائنا. وهذا الموضوع من المواضيع المهمة التي يتم العمل عليها في التربية الخاصة، وذلك لتعريف الطالب عن نفسه وأسرته ومن ثم تعليمه عن هويته وعن علاقاته مع الآخرين، وحدود هذه العلاقات.

ألبوم الصورة وسيلة رائعة، ومحفز ملائم لإجراء حوار وتشجيع تواصل اجتماعي وعاطفي. فمن خلالها يمكن التقريب بين أعضاء العائلة الواحدة. أو أعضاء مجموعة معينة، والبحث عن المشترك والمثير.

يؤكد (חצרוני ואורי, 1998) إن التصوير والصور هما أسلوبان عمليان ومفيدان جدا، كطريقة اتصال بديلة في العمل مع الأطفال المتوحدين، عن طريق تعليمهم صور الأشياء، الأشخاص والمناسبات، ما يسهل عليهم عملية الاتصال مع من حولهم، والتعبير عن احتياجاتهم ومشاعرهم. وقد أثبتت هذه الطريقة نجاعتها أيضا في العمل والعلاج مع طلاب ذوي شلل دفاعي، حيث أن عجز هذه الفئة عن النطق السليم والحركة الدقيقة، يمنعهم من

التعبير البسيط عن أنفسهم . فاستخدامهم لقاموس من الصور البسيطة للتعبير عن مشاعرهم في ذلك اليوم أو للتعبير عن رغبتهم في القيام بنشاط معين يمنحهم شعورا بالهدوء النفسي والثقة بقدراتهم (ورنر، ١٩٩٧) . يمكن أستخدام الصور أيضا لتثبيت معلومات ومهارات أساسية مثل التعرف على أعضاء جسمنا,حواسنا ,مشاعرنا وأعمالنا . (שיפר, 1998)

يعرض الزوج (גקסון, 2003) بعض التجارب في أستعمال الصور مع أشخاص ذوي قدرات محدودة . فيذكرون مثلا حالة ليام الفتى أبن الرابعة عشرة، والذي يعاني من شلل نصفي، وقدرته على الأتصال اللغوي محدودة . لقد كان ليام يعاني من أنفعالات وهيجان كبير عند أستعداده للخروج لنزهة أو لزيارة . وقد أكتشف أهله عن طريق الصدفة أن أعداده للخروج عن طريق محاورته وتوضيح البرنامج من خلال الاستعانة بالصور، قد خفف من حدة أنفعالاته، وهدأ من ردة فعله . لقد أصبح ليام يختار مكان الزيارة، ويشترك في اتخاذ القرارات . ويصف الزوج (גקסון, 2003) بعض التجارب التي ساعدت فيها الصور في عملية التأهيل المهني والاجتماعي لأشخاص ذوي أحتياجات خاصة . إن استخدام صور لأماكن الخدمات الاجتماعية المختلفة، وصور لمواقف يومية، ساعد الأشخاص المؤهلين على تعلم الاستقلالية في التنقل,في السكن, في العمل وفي القيام بالمهام اليومية الأساسية (كالتسوق واستعمال البنك والبريد وغيرها من المؤسسات المهمة) . ويوصي الزوج (גקסון, 2003) بعض التوصيات بالنسبة للوقت والمكان المناسبين لاستعمال الكاميرا :

١) استعمال الكاميرا أثناء القيام بالمشاهدات .

٢) يفضل استعمال الكاميرا لتصوير مراحل تحليل المهارات (ניתוח מטלות)

٣) استعمال الكاميرا لتوثيق مواقف ، أحداث، مناسبات خاصة ومؤثرة (مؤلمة وسعيدة) .

٤) استعمال الكاميرا لتحضير الفرد أو المجموعة لفعالية ، رحلة أو مناسبة معينة .

إن العلاج عن طريق الصور والتصوير موضوع حديث في التربية الخاصة، ويحظى باهتمام العاملين في هذا الحقل . . إنه أداة بسيطة . شخصية وغنية بالموارد والمعلومات، التي من الممكن طرحها، تطويرها وتذويتها للمجموعة .

إن مواقف النجاح في حياة المتخلف قليلة، واستعماله للكاميرا بهدف التصوير وبهدف جمع صور شخصية أمر بسيط وممتع، ومما لا شك فيه أنه يمنحه شعوراً بالسيطرة والنجاح وتحقيق الذات . على الرغم من حداثة الموضوع وعدم دخوله الرسمي في مدارس التربية الخاصة، في البلاد عامة، والمدارس العربية خاصة، فإنه مجال مهم وواعد . إن تطبيق هذه الأداة في الوسط اليهودي مازال محدودا، ولهذا لا نجد الكثير من المصادر التي كتبت في هذا المجال . هنالك تجربة جديدة لتعليم مجموعة من الطلاب، الذين يعانون من التخلف العقلي ,في إحدى مدارس شرقي القدس، التصوير الفوتوغرافي وحسن استعمال الكاميرا . وقد أثبتت هذه الدورة نجاحها وأهميتها في رفع ثقة الطلاب بنفسهم، وتحسين مهارتهم في التصوير . ان

شعور الطالب المتخلف بالنجاح في تفعيل أداة، ورؤيته الفورية أحيانا، أو المؤجلة أحيانا أخرى, للنتيجة الجميلة (الصورة) يزيد من تقديره لذاته وأيمانه بقدراته، ما يرفع من دافعيته ورغبته في المحاولة والتعلم.

هنالك أيضا مشاريع تطبيقية تنفذ في هذا الموضوع في إطار التدريبات التي يقوم بها طلابي من السنة الثالثة، وذلك من بضع سنوات سابقة. بالإضافة لمشاريع التخرج التي بدأت تتناول هذا المجال. هذه المحاولات الأولى لتطوير الموضوع ونقله لمدارس التربية الخاصة ضرورية ومطلوبة، في ظل التجديدات المستمرة في الأبحاث والعلوم الإنسانية، ولمواكبة التحديات الصعبة التي تواجهنا في مراعاتنا للطلاب الخاصين.

تلخيص وتوصيات

لقد طرح هذا المقال علاجاً حديثاً ومهماً في حقل التربية، والذي بالإمكان استخدامه مع طلابنا العاديين أو الخاصين، أو حتى مع طلابنا في الكليات والمعاهد العليا. فمن منا صغارا وكبارا لا يتلهف لرؤية البوم صور لعزيز، قريب أو صديق؟ ومن منا لا يتصفح ألبومه الشخصي من حين لآخر، فيضحك تارة ويبكي تارة ويسرح تارة، معيدا عن طريق صفحات الألبوم تاريخ حياته وأحداثها الصغيرة والكبيرة، منذ كان طفلا يحبي.. لأعياد ميلاده.. للقاءات العائلية والرحلات والتجارب المتنوعة. الصورة تفتح عقولنا فتتذكر تفاصيل صغيرة، وننظم ذكرياتنا بالتسلسل السليم، ونتعلم من تجاربنا، وتفتح قلوبنا فتتأثر فرحا لذكرى هذه المناسبة، ونبكي لوعة وشوقا للقاء عزيز رحل أو توفي.

إن تصفحنا لألبوم الصور الشخصي يمنحنا فرصة متجددة للعمل في مجال «الأنا». فكم هو ممتع ومهم أن يكون لكل منا ألبومه الشخصي، الذي يريه بفخر واعتزاز لمن حوله وكأنه يقول «هذا أنا. وهذه هويتي. وهذه حياتي».

ان استعمال هذه الصور في عملنا مع طلابنا كبارا وصغارا عاديين وخاصين، يفسح المجال لنا في التعرف عليهم بعمق أكبر، كما ويسهل علينا الاتصال والتفاهم معهم أكثر، ويتيح لهم فرصة التعرف على ذاتهم. تعزيز مهاراتهم، تمكينهم وتقوية انتمائهم وهويتهم الذاتية. يعاني الطالب الخاص، وللأسف الشديد، من عدم وجود مجموعة كافية وغنية لصوره الشخصية، ولا يرجع ذلك لوضع عائلته المادي فقط، إنما يعود بالأساس لعدم وعي الأهل لضرورة الصورة الشخصية في حياة هذا الإنسان المعاق.

إن هناك من الأهل من يعتقد أنه لا حاجة لتصوير هذا المعاق، فما معنى تصوير إنسان مشوه أو عاجز. فنرى أن كثيراً من الطلاب في التربية الخاصة لا يملكون الصور الشخصية، التي نفاخر نحن العاديين بها، ونحن أقل حاجة نفسية لوجودها، بسبب ما أنعم الله به علينا من مهارات ومواهب. وبهذا أنا أوصي بما يلي:

١) العمل والعلاج عن طريق الصور العامة والصورة الشخصية خاصة مع الطلاب العاديين والخاصين لما تحققه هذه الأداة من أهداف كثيرة ومتنوعة تم ذكرها.

٢) تدريب الطلاب الخاصين على استعمال الكاميرا، لتوثيق أحداث حياتهم في المدرسة والبيت، ومع من يحبون، ولبناء ألبوم صور شخصي يقص أحداث حياتهم ويعزز وجودهم.

٣) استعمال الصورة كوسيط للتعبير عن مشاعر «صعبة» ومؤلمة ومشاعر سعيدة. مهم أن يعي المعالج / المعلم أهمية استعداد الطالب لهذا النوع من العلاج، وجاهزيته للتفريغ النفسي. كما وعلية ان يقرأ ويتعلم حسن استعمال هذه الأداة.

٤) من الممكن استعمال الصور الشخصية لتوثيق علاقة بين أفراد مجموعة واحدة، لتعزيز ما هو مشترك، وللتقريب والتعاطف بين الأطراف.

٥) تطوير زاوية في الصف لصور الطلاب المدرسية والعائلية. حيث أن هذه الزاوية تعرض وتحكي عن أصحاب الصور. تجاربهم ومهاراتهم.

٦) إدخال هذا الموضوع الجديد والهام للمواد التعليمية، التي تدرس في مساقات المعاهد العليا والكليات ,وبالذات في مساقات أساليب التعليم. إن حشد الطالب بالأساليب الإبداعية المتنوعة يساعده في الخروج للحقل بأكثر ثقة ودافعية، وتجعل منه وكيل تغيير حقيقي للأساليب القديمة التي لم تثبت نجاعتها.

٧) تمرير هذه الطريقة للمعلمين في مدارس التربية الخاصة، وذلك كي يمتليء صندوق أدواتهم (ארגז הכלים) بأسلوب إضافي حديث. إن التجدد في الأساليب التربوية أمر مطلوب وضروري من أجل الوصول لجميع الطلاب ولجميع المستويات التعليمية. فكيف بالأحرى في حقل التربية الخاصة الذي يحتاج وبتواصل إلى كل ما هو إبداعي وجديد، بسبب خاصية الطلاب المعاقين، وكثرة المشاكل والاضطرابات التي يعانون منها، والمستويات الذهنية، الحركية، الوجدانية، الاجتماعية واللغوية المختلفة والكثيرة.

المراجع

وتد, ك . (2002) . "استخدام فعاليات الاستعارة والتشبيهات في عملية الاستشارة النفسية والإرشاد". **الكرمة** ٣ . كلية دافيد يلين .

ورنر، د . (1997) . **الشلل الدماغي عند الاطفال**، ورشة الموارد العربية . بيروت .

ברמן,ל. (1997) . **מאחורי החיוך-שימוש תראפויטי בחצלום.** חיפה: הוצאת (אח).

בר-אל,ציפי (1996)." עצמי ותפקידי מין "בתוך: **מפגשים עם הפסיכולוגיה**,הוצאת כרם

גינת,נ. (1998) . "הדרך לומר מילים אחרות-עבודה טיפולית עם אישה בעלת פיגור שכלי". **סוגיות בחינוך מיוחד ושיקום**,כרך 13,מס 2. עמ. 88-81.

גקסון ,א ו נ. (2003) . **טיפול בעזרת צילום בבעלי יכולת למידה מוגבלת.** {תרגום:תמר זכאי}. הוצאת (אח).

חצרוני ,א ושלום, א. (1998) . "תקשורת חלופית ותומכת,שימוש בכרטיסיות עם סמלים עבור ילדים אוטיסטים". **סוגיות בחינוך מיוחד ושיקום**,כרך 13 מס. 2 ע"מ 33-43

סיאנו,י. (1998). "כשמצירים תמונה נותנים מיכל לנשמה-התפקיד היחודי של טיפול באמצעות יצירה והבעה חזותית)ציור ופיסול(במתבגרים שחוו טראומה בילדותם". **סוגיות בחינוך המיוחד והשיקום.** כרך13:. מס 2. עמ25-37.

צרכוב,ז. (1997) . **תמונות.** המכון לאמצעי הוראה.

שיפר,א. (1998) . "גם יש לי אלבום צילום-יצירת אלבום אישי עם מתבגרים בעלי פיגורשכלי". **סוגיות בחינוך מיוחד ובשיקום.** כרך13:. מס 1. עמ79-71